الصورة الشعرية للدمع في الغزل العفيف عند ابن المعتز دراسة دلالية

The poetic image of tears in chaste flirtation according to Ibn al-Mu'tazz

Semantic study

أ.د. فائزة عباس حميدي / أ.م.د . هدى هادي عباس / أ.د.نورة صبيان بخيت الجهني

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

nosbj@hotmail.com dr.huda@uomustansiriyah.edu.iq

البريد aledresifaiza@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

الشاعر عبد بن المعتزهو ابن الخليفة المعتز وجده الخليفة المتوكل ، وبسبب التنافس على الخلافة ، شهد مقتل جده المتوكل وعمه وأبيه وابن عمه ، فابتعد عن السياسة ، وكثرت مفردة الدمع في شعره في موضوع الغزل العفيف ، ولم يذكرها في الغزل الصريح؛ لأنه قائم على اللذة والشهوة ، وهو لم يُحرَم مباهج الحياة وزينتها ؛ لأنه عاش في قصر الخلافة، فتنوعت الدموع عنده من دموع فرح وحزن,ودموع كاذبة وساخرة إلى دموع قليلة وكثيرة ونافدة ، واتسعت الصورة الشعرية للدمع لاتساع جوانبها فهي تتعلق بالجانب الحسي والكوني والكمي ، وانتهت الدراسة الى ان الشاعر وظف الدمع ليكون فكرة تسهم في بناء القصيدة ، وتعددت دلالتها بقدر تعدد ذكر مفردة الدمع ، ذلك أن الشاعر قد صبّ في هذه المفردة كل ثراء الحياة التي عاشها من لهو وحزن وغنى وفقر وصراع على الخلافة .

الكلمات المفتاحية : الصورة الشعرية ، ابن المعتز ، الغزل العفيف، الأدب العباسي، دلالة

Summary

The poet Abd ibn al-Mu'tazz was the son of Caliph al-Mu'tazz and the grandson of Caliph al-Mutawakkil. Due to competition over the caliphate, he witnessed the killing of his grandfather al-Mutawakkil, his uncle, his father, and his cousin. Consequently, he distanced himself from politics. The motif of tears frequently appeared in his poetry, particularly in the context of chaste love, but it was absent in explicit love poetry, as that genre focused on pleasure and desire. Abd ibn al-Mu'tazz was not deprived of the joys and luxuries of life, having lived in the caliphal palace. His depiction of tears varied, encompassing tears of joy and sorrow, false and mocking tears, as well as .sparse, abundant, and final tears

The imagery of tears in his poetry extended to sensory, cosmic, and quantitative dimensions. The study concluded that the poet employed the motif of tears as a central idea contributing to the construction of his poems. The significance of tears varied depending on the frequency of their mention, reflecting the richness of his life experiences, including joy, sorrow, wealth, poverty, and the struggle for the caliphate

Keywords: poetic image, Ibn al-Mu'tazz, chaste ghazal, Abbasid literature, significance

المقدمة

لاشك بوجود الدراسات عن الصورة الشعرية ، وابن المعتز حتى تكاد تكون واضحة ، ولكن دراسة المفردة بوصفها تعبر عن فكرة ، وتحتل مساحة فنية في التعبير عن الحزن والفرح ، يحتاج بحثا ، فذكر الشاعر دموع الحزن، ودموع الفرح، ودموع الشوق، ودموع الحُبّ ، وكذب الدموع ، ودموع التوبة ، وهي تعطي فكرة عن الحالة النفسية للإنسان والمقدرة البلاغية للشاعر للتعبير عن هذه النفس الإنسانية ، فربط الشاعر ابن المعتز بين مشاعره والدمع من جهة ،و بين الدمع و المكونات الكونية الأخرى ، مثل: الماء والمطر والأحجار الكريمة ، فتارة تأتي مشبها وتارة تأتي مشبها به؛ لاستيعاب جمال المرأة الحبيبة، وجمال الدمع حين يعبر عن لغة الجسد، وجمال الكون حين يستعير صفات البرق والمطر والماء ويسقطها على الدمع؛ لأنها علامة عن مشاعر الانسان وما ينتابه من إحساس لذلك اخترنا هذا الموضوع للتعمق في تلك الصور ومعرفة ما نتج عنها.

أما الدراسات السابقة التي هي قريبة من موضوعنا (نظرة تحليلية على الغزل عند عبد الله المعتز) لـ أ.م. يدالة رفيعي و أ.م.د.آشورقليج باسة وانتهيا إلى أنّ الغزل عند ابن المعتز من ناحية البناء الفني ورد على شكل مقدمة فنية للقصائد الطويلة وإنّ هناك رابطة بين الغزل وموضوع القصيدة ، كما ورد على شكل مقطوعات ، أمّا من ناحية الشخصية المتغزل بها فورد الغزل بالمؤنث والغزل بالمذكر وهو نفسه الغزل بالمؤنث، ولايختلف عنه إلّا باستخدام الضمير المذكر، والغزل بالغلمان ، لذلك ابتعدنا عن هذا التقسيم وتناولنا الصورة الشعرية للدمع بوصفها فكرة أسهمت في بناء القصيدة من خلال التفكر في الأسئلة الآتية :

على مَن بكى الشاعر؟ وكيف وصف دموعه ؟ **ومتى تُـعْذَر دموعه؟** ومتى يخفي الشاعر دموعه؟ ومتى **تكون دموعه قليلة ؟ ومتى تكون دموعه** غزيرة ؟ وفي أي موقف تمتزج دموع الشاعر بالدم؟ ومتى تتناثر؟ وما إحساسه حين تعصيه العيون فتسكب الدموع ؟ ومتى تظهر دموع الشوق على الشاعر وما الفرق بينها وبين دموع الحُبّ ؟ وبماذا شبه دموعه؟ ومتى يفضحه الدمع؟ ومتى يسخر الشاعر من البكاء؟ وما حديث الدموع؟ وقد تولى الخلافة ومات مقتولا؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وقع البحث في تمهيد وثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأولمفهوم الصورة الشعرية وتطرقنا في المبحث الثاني إلى حياة ابن المعتز بشكل موجز، وذكرنا في المبحث الثالث الصورة الشعرية للدمع في موضوع الغزل العفيف.

وبذلك نرجو أنّا قد قدمنا شيئا يفيد المكتبة العربية ، والمهتمين بهذه الموضوعات بشكل عام والمختصين بالدلالة ، أوالأدب العباسي بشكل خاص .

التمهيد

مفهوم الصورة الشعرية

الصورة الشعرية مصطلح أدبي عُنِي به الدارسون لأنه يؤدي الى الاتساع في المعنى لذلك لابدّ من التعرف على مفهومه، وكيف وظفه الشاعر في رسم الصورة الشعرية للدمع.

الصورة الشعرية : هي بنية من بناء النصّ الشعري يخلقها الشاعر ليُعبّر عن انفعاله ، وأول من أشار إليها الجاحظ فقال: ((فإنما الشعر صناعة وضرب من النسّج وجنس من التصوّر)) (الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ١٩٥٥هـ، صفحة ٥٥٧) وهي تسهم مع البنى الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية في خلق النصّ الشعري ، فتبين جمالية النص، وتعد عنصرا حيويا في التكوين النفسي للتجربة الشعرية. وقد تكون الصورة الشعرية مُفردة يُصور الشاعر التشابه الحقيقي واللفظي بين الأشياء، وقد تكون الصورة الشعرية مُركبة ، يجمع الشاعر فيها بين ما تراه عينه وما يشعر به قلبه، عن طريق الترابط بين اللغة و العاطفة و الخيال، وتوظيف التشبيه والاستعارة و الكناية فتؤدي الوظيفة الجمالية التزينية وهي الوظيفة الأساس في الصورة الشعرية وقد تشغل الصورة فضاء النص ، وتُعدّ الصورة الشعرية السمة الإسلوبية التي يتميّز بها كلّ شاعر عن الآخر؛ لأنّها تعبر على انفعالاته ، وتؤثر في القارئ وإيضاح المعنى

(كمال أبو ديب، ط ٤، ١٩٩٥ م، صفحة ١٩)

حياة الشاعر عبد الله ابن المعتز

ولد الشاعر عبد الله بن المعتز في سنة (٢٤٧هـ) وعاش في العصر العباسي الثاني، حين سيطر الأتراك على الحكم ، وجده الخليفة المتوكل (ت٢٤٧هـ) (خطيب البغدادي و تحقيق بشار عواد معروف، ٢٠٠١، صفحة ١١/ ٣٠٢) وجدته زوجة المتوكل في الأصل جارية رومية جميلة ولقبها المتوكل بـ (قبيحة) لشدة جمالها وهي من ربات السياسة والدهاء ،وأمه إحدى جواري قبيحة رومية الأصل أُعجب بها المعتز فأهدته إياها ، وأبوه الخليفة المعتز ابن المتوكل (ت ٢٥٥هـ) من زوجته قبيحة ، تولى الخلافة سنة (٢٥٢هـ) لمدة ثلاث سنوات ، وكان لأم المعتز دور في أن يقتل المعتز أخاه من أبيه المتوكل لخلعه من ولاية العهد ، ثمّ قتل الأتراك المعتز، وكان ذلك سببا في أن يبتعد الشاعر عبد الله بن المعتز عن الحياة السياسية ، فلم يتول الخلافة بعد أبيه ، فأحبّوه الخلفاء والأمراء ثم تولاه بعد المعتز أربعة خلفاء أولهم عمّه المهتدي ، ثمّ أبناء عمّه المعتضد والمكتفي والمقتدر (سوزي حمود،

٢٠١٥م ، صفحة ١١٩ . ١٢٠) ، أمّا عبد الله بن المعتز ، فتزوج ابنة أبي العباس أحمد بن بسطام أحد رجال الدولة ، ولم تذكر المصادر شيئا عن حياة ابنة بسطام نفسها، ولكن من المعروف أن الزواج كان جزءاً من التحالفات السياسية والعائلية في ذلك الوقت. من المحتمل أن يكون هذا الزواج قد تم بهدف تعزيز الروابط الأسرية والسياسية بين العائلات النبيلة في المجتمع العباسي . وليس له أولاد (ابن المعتز، شرح الصولي، و تحقيق يونس السامرائي، ديوان شعر ابن المعتز، ١٩٩٧م، صفحة ٢٧/١)

ثمّ أنفت الأتراك من خلافة المقتدر، وهو حدث ، فهاجموا وتوثبوا على المقتدر وقتلوه ، وقتلوا وزيره ، ونصّبوا عبد الله ابن المعتز في الخلافة ، فقال : على شرط أن لا يقتل بسببي رجل مسلم . وكان حول المقتدر خواصه، فلبسوا السلاح ، وحملوا على أولئك ، فتفرق عن ابن المعتز جمعه ، وخاف ، فاختفى ، ثم قُبِض عليه ، وسلموه إلى مؤنس الخادم ، فخنقه ، وقُتل سرا في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومئتين ، ولفه في بساط ، وبعث به إلى أهله ، فتولى الخلافة يوما واحدا وقُتِل (ت٢٩٦هـ).

(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، صفحة ١٤/٣٤)

<u>الصورة الشعرية للدمع في موضوع الغزل العفيف</u>

نظم ابن المعتز في اتجاهات الغزل التي عرفت في عصره من الغزل الصريح والغزل العفيف، والغزل بالغلمان والغزل بالمذكر .وعرف الغزل الصريح بالتحلل الخلقي الذي يخدش الحياء وخلا هذا الشعر من ذكر الدموع ، لذلك فلم نذكره ، أمّا الغزل العفيف، فعرف بذكر عاطفة الحُبّ ولوعة الفراق والشقاء والحرمان وهذا النوع ارتبط بذكر الدموع وهو الذي سنتناوله في هذا المبحث ، و نظم ابن المعتز في كل هذه الأنواع الغزلية ، (شوقي ضيف، ١٩٧٣، صفحة ٤٤٣)

اختلفت الصور الشعرية للدمع بعدد لفظات الدمع التي وردت في النصوص الشعرية ، لأنها تتدرج من القلة الى الكثرة فقال الثعالبي : ((إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل أجهش، فإذا امتلأت عينه دموعا قيل : اغرورقت عينه وترقرقت، فإذا حاكت دموعها المطر قيل: همّت ، فإذا كان لبكائه صوت قيل نحب ونشج ، فإذا صاح مع بكائه قيل أعول)) (أبو منصور عبد الملك الثعالبي و تحقيق حمدو طماس، ط٣ ، ٢٠١٠م، صفحة ١٤٦) واقتبس ابن المعتز من أوصاف الماء والمطر ووصف فيها الدموع للتقارب بينهما (فإذا سال المطر بكثرة قيل انسكب) (أبو منصور عبد الملك الثعالبي و تحقيق حمدو طماس، ط٣ ، ٢٠١٠م، صفحة ٣١٢) وعدد النصوص الشعرية التي وردت فيها لفظة الدمع اثنتين وعشرين نصا في الغزل العفيف

١ . **بكاء الطرب**

قال ابن المعتز في مقدمة قصيدة يهجو فيها خصومه من بحر الوافر:

بِرُغمِ البَينِ لا صارَمتُ شُرّاً وَلا زالَت وَإِن بَعُدَت صَديقا

كَذاكَ بَكَيتُ مِن طَرَبٍ إِلَيها وَبِتُّ أَشيمُ بِالنَجَفِ البُروقا

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٨٨)

يذكر الشاعر حبّه لحبيبته (نشر) ويسميها (شرّ) حتى يستقيم له الوزن فالبيت الشعري من بحر الوافر (مفاعَلَتُن مفاعَلَتُن مفاعَلَتُن) وحتى يستقيم له الوزن جاء بزحاف العصب وهو تسكين الحرف الخامس من التفعيلة ممّا اضطره أن يحذف حرف النون وسمي بالوافر لوفرة حركاته وهو ممّا يناسب حالة الطرب التي يعيشها فضلا عن أنه فيه رنة قوية ترشحه للأداء العاطفي (عبد الله الطيب، ط٢، ١٩٧٤م، صفحة ١ / ٣٣٣) لذلك يقول (بَكَيتُ مِن طَرَبٍ إِلَيها)

لماذا يبكي الشاعر في لحظات الطرب؟ فذرف الدموع يكون وقت الحزن ! فالبكاء عند الفرح، آلية لا شعورية يلجأ إليها الانسان في حالة الفرح، لإعادة التوازن إلى الحالة النفسية والشعورية ليتخلص بها الجسم من المشاعر القوية، كما إنها لغة الجسد العاطفية، التي تساعد على توصيل المشاعر للآخرين (لاريسا معصراني، ٢٠٢٣م)

فيبكي الشاعر طربا لأنّ قلبه ممتلئ بالحبّ وإن كانت حبيبته بعيدة ، ولم أجد أنّ هناك علاقة بين المقدمة وموضوع القصيدة التي يصف بها خصومه بالكفر والخروج عن الإسلام.

٢. دموع الشوق

قال ابن المعتز يصف حُبّه للحبيبة الراحلة في مقطوعة من ثلاثة أبيات من بحر البسيط :

جِسمُ المُحِبِّ بِثَوبِ السَقمِ مُشتَمِل وَجَفنُهُ بِدُموعِ الشَوقِ مُكتَحِلُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣١٣ وينظر:٣٣١)

يتحدث الشاعر عن نفسه بضمير الغائب ليصف السقم الذي أصابه بسبب الحُبّ ، فيجرد من ذاته ذاتا

أخر ى يتحدث عنها لئلا يكشف ضعفه للمتلقي ، ويتكون البيت من استعارتين مكنيتين الأولى (ثوب السقم) التي تعبر عن ضعف الشاعر الذي أصاب السقم جسده جميعه كما يغطي الثوب جميع الجسد والاستعارة الثانية التي طغت على البيت الشعري وشملت فضاء النص (دموع الشوق) التي استعارها لتعبر عن جمال روحه الذي يجمل العينين فاستعار ماهو معنوي حسي لما هو مادي فمهما تعب جسده تبقى دموع الشوق تجمل نفسه أمّا سبب اكتحال عينيه بدموع الشوق لأنّ طلل حبيبته قد اختفى وانمحت رسومه فيقول :

وَكَيفَ يَبقى عَلى ذا مُدنَفٌ كَمِدٌ لَم يَبقَ مِن صَبرِهِ رَسمٌ وَلا طَلَلُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، صفحة ٣١٣)

.

٣.كذب الدمع (الدمعة الحرى وضحك العين)

قال ابن المعتز في مقطوعة من بيتين من المنسرح :

أختانِ : أحداهما إذا انتحبت تبكي كباكٍ بدمعةٍ حرى

وما بها صبوةٌ ولا حزنٌ تضحكُ منها لدمعها الأخري

فقوله:(أختان) كناية عن العينين وشبه في البيت الأول العين الباكية الأولى بعين تبكي بدمعة حرّى الذي يتضح بقوله:(تبكي كباكٍ بدمعةٍ حرى) ووجود حرف التشبيه(الكاف) للتقليل من البكاء ، ثمّ نفى الحزن والصبوة عنها ، فيقول :(وما بها صبوةٌ ولا حزنٌ) ، واستعار جملة (تضحكُ منها لدمعها الأخرى) للعين الثانية ، والمقصود إنّ هذه الدموع لا علاقة لها بالمشاعر ، وإنّما تفتعل البكاء لغرض الكذب ، وربما اتجه لهذه الصورة الشعرية للدمع: عين تبكي حرّى وعين تضحك ليعبر عن التناقض الذي يراه في الحياة أو صورة للصراع بين الجواري في القصر.

٤. العبرة

قال ابن المعتز مشبها حزنه على فراق الحبيب بجمرة تحرق قلبه وتفيض عيناه بعبرة في مقطوعة من ثلاثة أبيات من بحر المتقارب:

بِقَلبي لِنارِ الهَوى جَمرَةُ وَلِلشَوقِ في مُقلَتي عَبرَةُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٧٨)

يتحدث الشاعر عن فراق الحبيب ويوضحه بصورة شعرية حسية تتمثل بظهور ألم الفراق في قلبه على شكل جمرة من نار، أمّا شوقه فيظهر في عينيه على شكل عبرة ، والعَبْرة: الدَّمْعة، وقيل: هو أَن يَنْهَمِل الدمع ولا يسمع البكاء، أو هي الدمعة قبل أَن تَفيض أول البكاء، وتأتي بمعنى تردُّد البكاء في الصدر، أو بمعنى الحزن بغير بكاء (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (عبر)

ثمّ يقابل ما يحدث لعينيه حين وجود الحبيب وحين ابتعاده

وَأَسخَنَ عَيني حَبيبٌ نَأى وَكانَت لِعَيني بِهِ قُرَّةُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٧٨)

، ثمّ يكرر في البيت الثاني إحساسه بألم الفراق على شكل ثنائية حسية متضادة (السخونة / البرودة) فالفراق أسخن عينيه، والاتصال قرّ عينه ومعنى قرّ: بَرَدَتْ عيناه، وانقطع بكاؤها واستحرارُها بالدمع، فإن للسرور دَمْعَةً باردةً وللحزن دمعة حارة. (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (قرّ)

٥. إخفاء الدمع الفاضح للوجد

قال ابن المعتز من بحر الطويل :

أعلقُ قلبي بالأحاديثِ بعدكمْ و أصرفُ لحظي عن محدثه عمدا

وأسألُهُ ردَّ الأحاديثِ عَلّهُ سؤالٌ ، وأخفي دمعةً تفضحُ الوجدا

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٤٠)

يتطرق الشاعر في هذه المقطوعة الى علاقة التوسط بينه وبين الحبيبة وهو المتحدث عنها فما زال الشوق والوجد في أوله لذلك اختار الشاعر الصورة الشعرية للدمع هي إخفاء الدمع لئلا يفضحه وجده.

٦. الأنين والبكاء

قال ابن المعتز في مطلع قصيدة من بحر الطويل يشكو فيها من الغانيات:

أبى اللَهُ ما لِلعاشِقِينَ عَزاءُ وَما لِلمِلاحِ الغانِياتِ وَفاءُ

خَليلَيَّ بِاللهِ الّذي أَنتُما لَهُ فَما الحُبُّ إِلّا أَنَّةٌ وَبُكاءُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢١)

يشكو ابن المعتز عدم وفاء الغانيات له، لذلك أقصر الحُبّ على الأنين والبكاء ، والأُنَنةُ الكثيرُ الكلام والبَثِّ والشَّكْوَى (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (أنّ) ، فهو لم يذكر امرأة بعينها ، فلم تبرز صورة الدمع وإنما اكتفى بلفظة البكاء التي توحي بالدمع ، ولعل ما عرف من كثرة الجواري في القصر العباسي للخلافة وايقاع احداهن بالأخرى أثر في رسم هذه الصورة الشعرية للدمع.

٧. حديث الدموع

قال ابن المعتز في محاولة كتمان ما في قلبه من حُبّ وإظهار صدق بكاء الشاعر وكذب بكاء الحبيبة في مقطوعة من أربعة أبيات من بحر الخفيف :

قُل لِغُصنِ المبانِ الَّذي يَتَثَنّى تَحتَ بَدرِ الدُجى وَفَوقَ النَقاء

رُمتُ كِتمانَ ما بِقَلبي فَنَمَّت زَفَراتٌ تَغشى حَديثَ الهَواء

وَدُموعٌ تَقولُ في الخَدِّ يا مَن يَتَباكى كَذا يَكونُ البُكاء

لَيسَ لِلناسِ مَوضِعٌ في فُؤادي زادَ فيهِ هَواكَ جَفني اِمتِلاء

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٢)

بنى الشاعر فضاء النصّ الشعري على الموازنة بين بكائه وتباكي الحبيبة وقامت هذه الموازنة على أساس التنامي في المعنى من(رمت كتمان) الى (فَنَمَّت زَفَراتٌ تَغشى حَديثَ الهَواء) الى (وَدُموعٌ تَقولُ) (يا مَن يَتَباكى كَذا يَكونُ البُكاء) الى (زادَ فيهِ هَواكَ جَفني اِمتِلاء) لا يستطيع الشاعر كتمان حُبِّه فتخرج منه زفرات تكشف وتدلّ على ما فيه من لوعة الحُبّ تغشى حديث الهواء وهو استعارة لحديث الناس لضعفه وعدم تأثيره في الشاعر مثل الهواء ثمّ دموع تملأ جفونه وتقول كذا يكون البكاء فبكاء الناس تباكي وبكاء الشاعر بكاء صار مضر ب للبكاء وقوله : (زادَ فيهِ هَواكَ جَفني اِمتِلاء) فيقصد امتلاء الجفن بالدموع ولم يذكر لفظة الدمع ، لأن الحبيبة غير صادقة في مشاعرها وتتباكى فناسب ذلك حذف لفظة الدموع ويسمى هذا الفن في البلاغة الاكتفاء وهو حذف بعض الكلام لدلالة العقل عليه (ابن معصوم الحسني، صفحة ١٨٣)

وقال ابن المعتز من بحر البسيط:

لَحظُ المُحِبِّ عَلى الأَسرارِ مُتَّهَمُ إِذا اِستَشَفّوا الهَوى مِن نَحوِهِ عَلِموا

مَن كانَ يَكتُمُ ما في القَلبِ مِن حُرَقٍ فَفي دُموعي حَديثٌ لَيسَ يَنكَتِمُ

وتكون الصورة الشعرية للدموع كلامية صوتية في موضوع الحُبّ قائمة على السلب و الايجاب والمثبت والمنفي (مُتَّهَمُ/ عَلِموا و مَن كانَ يَكتُمُ/ لَيسَ يَنكَتِمُ) وثنائية (القلب / الدموع) فالقلب يكتم لكن دموعه تتحدث بحُبّه. (ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٣٢)

٨. بوح الدمع بالسرّ .

وقال ابن المعتز من المجتث :

يا رَبُّ قَد أَبلاني حُبّي لِذا الخَوّانِ

وَباحَ دَمعي بِسِرّي وَخانَني كِتماني

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٥٧)

يسقط الشاعر على الدمع الصفة الإنسانية وهي القدرة على الكلام والبوح بأسرار الشاعر، فالصورة الشعرية للدمع صورة كلامية حين يشير الى حبّه للحبيب ولا يوجد قطع بينهم.

٩. الدمع الواشل

وقال ابن المعتز في حوار قصصي بينه وبين الطلل من بحر المنسرح:

تَعاهَدَتكَ العِهادُ يا طَلَلُ حَدِّث عَنِ الظاعِنينَ ما فَعَلوا

فَقالَ لَم أَدرِ غَيرَ أَنَّهُمُ صاحَ غُرابٌ بِالبَينِ فَاِحتَمَلوا

عَلَيَّ هَذا فَما عَلَيكَ لَهُم قُلتُ حَنينٌ وَدَمعَةٌ تَشِلُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٠٤)

يسأل الشاعر الطلل عن الحبيبة الراحلة بإسلوب قصصي على سبيل المجاز، وهو في الحقيقة حوار بين الشاعر وذاته ، فيخبره أنها رحلت ، ثمّ سأل الطللُ الشاعرَ: وهو ماذا فعل؟

فيجيب الشاعر :(قُلتُ حَنينٌ وَدَمعَةٌ تَشِلُ)

فيأتي بلفظة (حنين ودمعة) نكرتين لغرض التقليل من الهمّ والحزن ذلك أنّ علاقة الشاعر بالطلل ضعيفة كونه عاش في قصور الخلفاء ، وأمّا قوله: **(وَدَمعَةٌ تَشِلُ) فـ** (تشل مأخوذة من الفعل وشَل وشْلا)القليل من الدمع (تعريف و معنى وشل في معجم المعاني الجامع ، د.ت، صفحة (وشل)

ثمّ يقول الطلل للشاعر :

(فَقالَ مَهلاً تَبِعتُهُم أَبَداً إِن نَزَلوا مَنزِلاً وَإِن رَحَلوا)

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٠٤)

وهو الإقرار بحتمية الفناء وعند ذلك يأتي دور الدمع ليكون الكلام المعبر عن فراق الحبيبة، فيقول الشاعر:

فَلَم يَكُن بَينَنا سِوى اللَحظِ وَال دَمعِ كَلامٌ لَنا وَلا رُسُلُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٠٤)

فالصورة الشعرية للدمع كلامية وتحتل علاقة التوسط بين بين الحضور والغياب.

١٠. دمعة الصَّبّ العاشق

قال ابن المعتز يعتب على أبناء عمّه في قصيدة تقع في ستة وعشرين بيتا من الطويل يفتتحها بذكر البرق:

أَلا تَرَيانِ البَرقَ ما هُوَ صانِعُ بِدَمعَةِ صَبٍّ شَفَّهُ النَأيُ وَالشَحطُ

مِنَ اللَهِ سُقياهُ لِشُرٍّ وَجَودُهُ وَلَيسَ لَها سَحُّ الغَمامِ وَلا القَحطُ

ويقول في عتابهم:

فَلا تُكثِروا شَوكَ الأَذى في غُصونَكُم فَيَكثُرَ مِنّي فيكُمُ الكَسرُ وَالخَبطُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٤٨)

يرمز البرق في مقدمة القصيدة في الشطر الأول الى البرق المخادع (يحيى عبد الرؤوف جبر، ٢٠٠٩)

الذي لا مطر فيه فلا يستطيع يستمتع بنوره ومطره ، فيرمز البرق الى أبناء عمه ، وأضاف في الشطر الثاني الدمعة الى الصبّ العاشق الذي أنحل جسمه الوهن والمرض وبُعد المكان ، ويقصد نفسه .

ويتحدث في البيت الثاني عن سقي ديار نشر حبيبته التي تشكل رمزا للحياة المستقرة التي يطلبها الشاعر ، لذلك ينسب المطر الى الله تعالى هو الذي يُسقي ديار نشر حبيبته وليس لها السقيا والقحط، وهو بذلك يوظف هذه المقدمة لتعبر عما حلّ في قصر الخلافة ، فالخليفة المعتز ما لبث الدهر أن قلب ظهر المجن للمعتز وابنه من عزّ الخلافة الى تدهور الأوضاع المادية فكانت خزائن القصر خالية من المال بسبب اتجاه الخليفة للهو والصيد فقُتِل بالدبابيس (٢٥٥هـ) ونفي الشاعر مع أمه وجدته إلى مكة لمدة سنة حتى ولي الخلافة عمه المعتمد (٢٥٦هـ) فأرسل في طلبهم ، فاستقرت ظروفهم ، ولكن الشاعر ظلّ مبتعدا عن الخلافة وظلت تتناقل بين أبناء العمومة ، فأحبّوه الخلفاء والأمراء ولقبوه المرتضى بالله (شوقي ضيف، ١٩٧٣، صفحة ٣٢٦) ، ولكنّ ظلّ في نفسه عتاب فأشار في هذه القصيدة الى معاناته من أبناء عمه التي عبر عنها في مقدمة القصيدة بمعاناته من البرق.

١١. الدمع الذارف.

قال ابن المعتز يعبر فيها عن قطع الاتصال بينه وبين الحبيب في مقطوعة من بيتين من بحر المتقارب:

أَيا مَن فُؤادي بِهِ مُدنَفُ حُجِبتُ فَلي دَمعَةٌ تُذرَفُ

إِذا مَنَعوا مُقلَتي أَن تَرا كَ فَقَلبي يَراكَ وَلا يَطرِفُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٧١)

ومعنى (دنِف يدْنَف: إذا أذابته العلة وبلغت منه مبلغا عظيما) (أبو منصور ابن الجبان، ١٩٩١م، صفحة ١٩١) وتعني الذَّرْفُ: صَبُّ الدَّمْع. وذَرَفَ الدَّمْعُ يَذْرِفُ ذَرْفاً ، وذَرَفاناً: سالَ. وذَرَفَتِ العينُ الدمعَ تَذْرِفُه أَسالَتْه، وقيل: رَمَتْ به. وفي حديث العِرْباض: فوَعَظَنا رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، مَوْعِظةً بليغة ذَرَفَتْ منها العيون أَي جرى دَمْعُها. وقد يوصف به الدمعُ نَفْسُه ، ومَذارِفُ العينِ: مَدامِعُها. واسْتَذْرَفَ الشيءَ:اسْتَقْطَرَه (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (ذرف)

يذكر الشاعر أنّ فؤاده مريض تهالك في حُبّه لأنه حجب عنه ، فله دمعة تذرف ، فقلل الشاعر من الدمع لأنه جاء نكرة مفردة (فَلي دَمعَةٌ تُذرَفُ) وساد النصّ صورة الفؤاد والقلب ففؤاده مريض لكن قلبه يرى ما لا ترى العين

١٢ . الدمع الهمول والهاطل

قال ابن المعتزيصف دموعه بالكثرة في قصيدة ثمانية عشرة بيتا من بحر الطويل:

قَضَيتُ زَمانَ الشَوقِ في عَرَصاتِهِ بِدَمعٍ هَمولٍ فَوقَ خَدَّيَّ يَهطِلُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٠٧)

انهملت عينه فاضت وسالت (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (همل) ومعنى (يهطل: المطر المتفرق وقيل هو مطر العظيم القطْر، وقيل هو مطَر دائم مع سكون وضعف (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (هطل).

وصف الشاعر دموعه بالكثرة لان موضوع القصيدة يتناول الحرب وخلاصة تجربته بالحياة ، فبعدما أخذ حظه في الحياة ، ومن متعها من أولها الى آخرها فانتهى الى أنّ كل جائر سوف يُعدَّل وكلّ منزل سوف يزول فيقول:

وَكُلُّ الَّذي سرَّ الفَتى قَد أَصَبتُه ُ وَساعَدَني مِنهُ أَخيرٌ وَأَوَّلُ

فَمِن أَيِّ شَيءٍ يا اِبنَةَ القَومِ أَحتَوي عَلى مُهجَتي أَو أَيِّ شَيءٍ أُؤَمَّلِ

وَيَتَّبِعُ الآمالَ مَوقِعَ لَحظِهِ فَلَيسَ لَهُ ما عاشَ في الناسِ مَنزِلُ

وَلِلدَهرِ سِرٌّ سَوفَ يَظهَرُ أَمرُهُ وَلِلناسِ وَزنٌ جائِرٌ سَوفَ يَعدِلُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٠٧)

١٥ . الدمع السافح

قال ابن المعتز في مقطوعة من ستة أبيات من البسيط يبكي ازدراء حبيبته له في إسلوب قصصي:

وَقَفتُ بِالرَوضِ أَبكي فَقدَ مُشبِهِهِ حَتّى بَكَت بِعُيوني أَعيُنُ الزَهرِ

لَو لَم تُعِرها جُفوني الدَمعَ تَسفَحُهُ لِرَحمَتي لَاِستَعارَتهُ مِنَ المَطَرِ

فَمَن لِباكِيَةِ الأَجفانِ سائِلَةٍ ظَلَّت بِلا فِكَرٍ تَبكي بِلا فِكَرِ

حَتّى إِذا اللَيلُ أَرخى سِترَ ظُلمَتِهِ وَساعَدَ اَجفانَها جَفني عَلى السَهَرِ

لا تَزدَري يا اِبنَةَ الأَقوامِ ذا كَرَمٍ إِن رَثَّ ثَوباهُ وَاِستَعصى عَلى النَظَرِ

إِن تَبلَ جِدَّةُ ثَوبَيهِ فَبَينَهُما سَيفٌ يُفَرِّقُ بَينَ الهامِ وَالقَصَرِ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٨١)

يبكي الشاعر فقدان المرأة الحبيبة التي يشبه جمالها جمال الروض ودموع الشاعر لاتكفي ، فيستعير دموع الطبيعة فأجفانه تسهر مع جفون الطبيعة ، ذلك أن الحبيبة ازدرت أثوابه الرثة لذلك يستدعي كل ما هو جميل في حياته يندب حظه ، وربما كتب هذه القصيدة بعد مقتل والده حين نُفي مع أمه وجدته زوجة المتوكل وكانت تمتلك أموالا طائلة فلم تساعد ابنها المعتز في محنته فقُتل وصودرت أموالها ونفوا من سامراء الى مكة لمدة عام فتدهورت أحوالهم ، ثمّ تمّ إرجاعهم الى القصر والإحسان اليهم من الخليفة المعتمد

(شوقي ضيف، ١٩٧٣، صفحة ٣٢٦)

١٦ . الدمع المبلل للنحر

وقال على غرار شعر عمر بن أبي ربيعة يجعل المرأة هي التي تحبُّ الشاعر وتبكي لفراقه في قصيدة من عشرة أبيات من الكامل:

قالَت لِأَترابٍ خَلَونَ بِها وَبَكَت فَبَلَّلَ دَمعُها النَحرا

ما بالُهُ قَطَعَ الوِصالِ وَلَم يَسمَح زِيارَةَ بَينَنا شَهرا

يا لَيتُهُ في مَجلِسٍ مَعَنا نَشكو إِلَيهِ النَأيَ وَالهَجرا

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٧٦)

تتسم الصورة الشعرية للدمع بالإسلوب القصصي فتوفرت فيها عناصرالقصة من شخصية وحدث وزمان ومكان ، فافتتحت بالحوار بين المرأة الحبيبة وصاحباتها (أتراب) التي تحمل دلالة زمنية كونهنّ من العمر نفسه فيقال:(تِرْبُ الرَّجُل الذي وُلِدَ معَه، وأَكثر ما يكون ذلك في المُؤَنَّثِ، يقال: هي تِرْبُها وهُما تِرْبان والجمع أَتْرابٌ) (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (ترب)

، ثمّ وظف الفعل (خلونّ بها) ليكسب الحدث أهمية الانغلاق والكتم ، ثمّ ينتقل الى الدلالة الحسية التي يوحي بها الفعل (بلل) في قوله : (وَبَكَت فَبَلَّلَ دَمعُها النَحرا) ، فجاء الفعل بفك الادغام وتشديد اللام الأولى للمبالغة بالبكاء والإحساس بالدمع (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (بلل)

وعبرت الدلالة المكانية على لغة الجسد في قوله: (فَبَلَّلَ دَمعُها النَحرا) ، فمكان النحر وضح عمق الحزن الذي أصاب المرأة الحبيبة ، فدلّت الصورة الشعرية على كثرة الدمع المرتبط بالدلالة المكانية الحسية.

الدمع الواكف وامتزاج الدمع بالدم

جاءت الصورة الشعرية للدمع في هذا النص الشعري أكثر حزنا من النصّ السابق ؛ لأن العلاقة بين الشاعر والمرأة الحبيبة علاقة تواصل ، ولكنّ لقاءهما امتاز بالحذر والخوف من الرقباء ، فإحساس المرأة الحبيبة بالعذاب جعل الشاعر يأتي بالصورة الشعرية للدمع ممتزجة بالدم.

واستخدم ابن المعتز الفعل (وكف) الذي في الأصل يدلّ على الماء الذي ينزل من السقف (أبو منصور عبد الملك الثعالبي و تحقيق حمدو طماس، ط٣ ، ٢٠١٠م، صفحة ٣١٣) ، ووظفه الشاعر للدمع، ومعناه : سال الدمع وقطر قليلا قليلا فالدمع قليل ، ولكنه ممتزج بالدم فقال من بحر المنسرح:

تَقولُ لي وَالدُموعُ واكِفَةٌ في خَدِّها بِالدِماءِ تَمتَزِجُ

حَتّى مَتى نَلتَقي عَلى حَذَرٍ أَما لَنا مِن عَذابِنا فَرَجُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١١٨)

حين تكون المرأة هي التي تحاور الشاعر وتطلب لقاؤه ، يجعل الدموع تمتزج بالدم

فتكون الصورة الشعرية للدمع تتضمن الإحساس بالفناء ، فكأنّ الدمع انتهى حتى بقى القليل المختلط بالدم.

١٧ . الدمع العاصي الغزير

قال ابن المعتز يشكو ألم الحُب وسهر الليالي، وبعدها ينتقل إلى وصف طلل الحبيبة الذي أضرته الأمطار ثمّ ذكر البيد والخمرة والفروسية على غرار القصيدة القديمة في قصيدة تقع في سبعة وعشرين بيتا من بحر الطويل:

أَلا ما لِقَلبٍ لا تُقَضّى حَوائِجُه وَوَجدٍ أَطارَ النَومَ بِاللَيلِ لاعِجُه

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١١٦)

ثمّ يقول:

وَآخِرُ حَظّي مِنهُ تَوديعُ ساعَةٍ وَقَد مَزَجَ الإصباحَ بِاللَيلِ مازِجُه

وَغَرَّدَ حادي الرَكبِ وَانشَقَّتِ العَصا وَصاحَت بِأَخبارِ الفِراقِ شَواحِجُه

فَكَم دَمعَةٍ تَعصي الجُفونَ غَزيرَةٍ وَكَم نَفَسٍ كَالجَمرِ تَدمى مَخارِجُه

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١١٧)

وحين يكون الشاعر هوالذي يحزن على فراق المرأة الراحلة تتصف الصورة الشعرية للدمع بالعصيان لئلا يظهر ضعفه وهو يبكي ، ولكن عصيان ماذا؟ هو عصيان الدموع للجفون وإنزالها بغزارة ؛ لأنه يصف ساعة الوداع بينه وبين المرأة الراحلة .

١٨ . الدمع الغارب

قال ابن المعتز يبكي أطلال الحبيبة في قصيدة تقع في ستة أبيات من البحر الطويل:

أُصانِعُ أَطرافَ الدُموعِ فَمُقلَتي مُوَقَّرَةٌ بِالدَمعِ غَرباً عَلى غَربِ

وَهَل هِيَ إِلّا حاجَةٌ قُضِيَت لَنا وَلَومٌ تَحَمَّلناهُ في طاعَةِ الحُبِّ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٥٦)

فقوله : (فَمُقلَتي مُوَقَّرَةٌ بالدمع) يعني مثقلة بالدموع وقوله: (غَرباً عَلى غَربِ) الدمع الذي ينهمل من العين ويقال في عينيه (غرَب) إذا كانت العين تَدمَع ولا ينقطع دمعها(لسان العرب غرب) ، فمقلته مازالت مثقلة ، وذلك بسبب مرور الزمن عليه وإحساسه بثقل الشيب ، إذ يقول:

تَبَدَّلتُ شَيباً بِالشَبابِ فَإِن تَطِر شَياطينُ لَذّاتي يَقَعنَ عَلى قُربِ

يذكرأنه شاب قبل أوان الشيب ، ولم يذهب بلذاته بعيدا ، وكل لذة يعقبها سقوط أمام عينيه يرى عاقبته السيئة، وهذا ماجعله يصف الصورة الشعرية للدمع مثقلة المقلتين بالدمع على الرغم من كثرة البكاء ، فما زال في داخله إحساس بالحزن يثقله.

١٩ . سجال الدمع

قال ابن المعتز في فراق المرأة الحبيبة متحدثا عنها بصيغة الجمع من بحر الكامل:

لَمّا ظَنَنتُ فِراقَهُم لَم أَرقُدِ وَهَلَكتُ إِن صَحَّ التَظَنُّنُ أَو قَدِ

سَلَقَتهُمُ زَفَراتُ قَلبٍ مُحرَقٍ وَسِجالُ دَمعٍ بِالدِماءِ مُوَرَّدِ

ما أَسرَعَ التَفريقَ إِن عَزَموا غَداً لا شَكَّ أَنَّ غَداً قَريبَ المَوعِدِ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٣٨)

يتحدث الشاعر عن الحبيبة الراحلة مع الجمع هو يتألم لفراقهم ، لكن مفردات الغزل توحي بالفناء فيقول في البيت الأول في فناء ذاته (وَهَلَكتُ إِن صَحَّ التَظَنُّنُ أَو قَدِ) ويقول في تتبع المجموعة الراحلة :

سَلَقَتهُمُ زَفَراتُ قَلبٍ مُحرَقٍ وَسِجالُ دَمعٍ بِالدِماءِ مُوَرَّدِ

فوظف (السلق والحرق و وَسِجالُ دَمعٍ بِالدِماءِ مُوَرَّدِ) ومعنى سجال يدلّ على انصباب شيء بعد امتلائه (ابن فارس، ٢٠٠٨م، صفحة ٤٨٤) ، وهو يستعار للدلالة على الكثرة (بشار بن برد، م١٩٩٧، صفحة ٣ /٣٢ هامش ٢)، ولو ربطنا هذه المقدمة بموضوع القصيدة ، نرى أنّ موضوع القصيدة هو خطاب بني العباس وحثهم على التمسك بالخلافة وقتل خصومهم

بعد أن ضاعت الخلافة من بين يديه مع حرص جدته المكنى عنها قبيحة أن تكون الخلافة في المعتز ابنها وأولاده إلا إنّها لم تنجح في أن يكون حفيدها عبد الله ابن المعتز خليفة ، إلا إنه ظل يردد في شعره بأحقية بني العباس في الخلافة من مثل قوله في القصيدة نفسها:

يا آلَ عَبّاسٍ لَعاً مِن عَثرَةٍ لا تَركُنُنَّ إِلى الغُواةِ الحُسَّدِ

وَخُذوا نَصائِحَ حازِمٍ مُتَعَصِّبٍ بِالشَيبِ مُجتَمِعِ النُهى مُتَأَسِّدِ

شُدّوا أَكُفَّكُم عَلى ميراثِكُم فَالحَقُّ أَعطاكُم خِلافَةَ أَحمَدِ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٣٨)

فنرى أنّ سلقهم بالزفرات المحرقة ما هي إلا النار التي تكمن في داخل الشاعر في زوال الخلافة عنه ، وأمّا الصورة الشعرية للدمع المعبر عنها بالسجال الذي صبّ بعد امتلائه (بالدمع الممتزج بالدم المورد) صورة مأساوية ويقصد بالمورد الإشارة الى حمرة الدم ما هو إلا المعادل الموضوعي لدموع الشاعر ودم جده وأبيه اللذين قتلا ولم تدم لهم الخلافة لذلك حصرها بالسجال لأنها محصورة بتلك الأسرة التي كانت نهايتها على يد الأتراك ، وزالت منها الخلافة لذلك يوصي أبناء عمّه بقوله :

شُدّوا أَكُفَّكُم عَلى ميراثِكُم فَالحَقُّ أَعطاكُم خِلافَةَ أَحمَدِ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٤٢)

١٩ . الدمع التهتان

التهتان في الأصل من أوصاف المطر واستخدمها الشاعر لوصف الدموع وذكره الثعالبي(ت٤٣٠هـ) في تفصيل أسماء المطر وأوصافه فقال : (إذا نزل المطر عند الحاجة فهو الغيث، فإذا دام مع سكون فهو الديمة ، و(الضرب) فوق ذلك قليلا، و(الهطل) فوقه ، فإذا زاد فهوالهتلان والتهتان) (أبو منصور عبد الملك الثعالبي و تحقيق حمدو طماس، ط٣ ، ٢٠١٠م، صفحة ٣١٢) قال ابن المعتز:

قال ابن المعتز من بحرالهزج

شَجاكَ الحَيُّ إِذ بانوا فَدَمعُ العَينِ تَهتانُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٣٥٢)

ومعنى التهتان من هتن : هتنت السماء تهتن هتنا وهتونا وهتنانا وتهتانا وتهاتنت : صبت ، وقيل : هو من المطر فوق الهطل ، وقيل : الهتنان المطر الضعيف الدائم . ومطر هتون : هطول . (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (هتن) ووزن تَفعال يفيد الكثرة

يذكر الشاعر أنّ الحزن شمل الحيّ كله عندما رحلت الحبيبة ، فاتسع حزن الشاعر من فراقه على المرأة الحبيبة الراحلة الى الحزن على الحي بوصفه المكان الذي عاش فيه الشاعر ذكرياته مع تلك المرأة ، فالوحدة والغربة

شملت الحيّ جميعه ، فيبرز هنا الجانب الاجتماعي المتمثل بانتماء الشاعر للحي ، فالصورة الشعرية للدمع اتسعت في هذا البيت ، فجاءت بصورة التهتان

٢٠ . الدمع المتدفق

قال ابن المعتز من بحر الكامل

وَمُتَيَّمٍ جَرَحَ الفُراقُ فُؤادَهُ فَالدَمعُ مِن أَجفانِهِ يَتَدَفَّقُ

بَهَرَتهُ ساعَةُ فِرقَةٍ فَكَأَنَّما في كُلِّ عُضوٍ مِنهُ قَلبٌ يَخفِقُ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٨٣)

ومعنى (دفَق الدَّمْعُ يَدْفِق ويدْفُق دَفْقاً: انْصبَّ، وقيل: انصبَّ بمرَّة فهو دافق أي مدفوق كما قالوا سِرٌّ كاتِمٌ أَي مكتُوم قال الفراء: معنى دافق مدفوق، قال: وأَهل الحجاز أَفْعلُ لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت ويقال في الطِّيرَة عند انصباب الإناء: دافق خير وسير أَدفقُ: سريع وجمل دفَقٌ، : سريع يَتدفَّق في مَشيه (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (دفق)

يتحدث الشاعر عن نفسه بصيغة الغائب ومعنى (متيَّم): مستبد به الحُبّ وقد ذهب بعقله (ابن منظور، ٢٠٠٨م، صفحة (تيم) ، وقد جرِح قلبه ، لذلك جاءت الصورة الشعرية للدمع صورة حركية تصور نزول الدمع بكثرة وسرعة.

الدمع النافد

قال ابن المعتز مقطوعة من بحر البسيط يشكو فراق الأحبّة:

أَشكو إِلى اللهِ أَنَّ الدَمعَ قَد نَفِدا وَأَنَّني هالِكٌ مِن حُبِّكُم كَمَدا

قالوا الفِراقُ غَداً لا شَكَّ قُلتُ لَهُم بَل مَوتُ نَفسِيَ مِن قَبلِ الفِراقِ غَدا

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ١٣٩)

يشكو الشاعر فراق الأحبة الذين يعيش معهم حاضره ، وليس من ذكريات الماضي فالألم مازال حيّا في داخله ، لذلك اختار الصورة الشعرية للدموع التي نفدت (ولا يقال نفِد الشيء إلا إذا فَنِي بعضٌ بعدَ بعضٍ) (أبو منصور

ابن الجبان، ١٩٩١م، صفحة ١١٢) وهذا يدلّ على التدرج في البكاء حتى نفاد الدمع وضمَّن النصّ الشعري المفردات الدالة على الفناء مثل (وَأَنَّني هالِكٌ ، بَل مَوتُ نَفسِيَ) وها يناسب نفاد الدمع وانتهائه .

دموع التوبة

يُعد هذا النوع من الشعر جزءًا مهمًا من الأدب العباسي، حيث يعكس شعر التوبة التحولات الروحية والنفسية للشعراء، وتأثرهم في القرآن الكريم والحديث الشريف، حيث يجدون فيهما الحث على التوبة والاستغفار إلى الله بعد ارتكاب الذنوب، ويتجلى فيه الشعور بالأسى والحزن ويُبرز شعر التوبة التحول نحو حياة روحية أكثر نقاءً، بعيدًا عن ملذات الدنيوية الزائلة.

قال من بحر السريع مقطوعة من بيتين يطلب من الله أن يغفر ذنوبه

بِاللهِ يا ذا المُقَلَةِ السّاهرة	اغفِر ذُنوبَ الدَمعَةِ القاطِرَة
تِه كَيفَما شِئتَ عَلَينا فَقَد	تاهَت بِكَ الدُنيا عَلى الآخِرَةَ

(ابن المعتز و تحقيق عمر فاروق الطباع، ديوان ابن المعتز، د.ت، صفحة ٢٠٣)

بعد أن قضى الشاعر شطرا من حياته في اللهو والصيد والغناء والموسيقى ومغازلة الحسان والغلمان وركوب الخيل والصيد والتمتع بجمال الطبيعة بعيدا عن الحياة السياسية والصراع على السلطة (أبو فرج الإصبهاني، ١٩٣٧م، صفحة ١٠/ ٢٧٠) و (ناظم رشيد، ١٩٨٩م، صفحة ١٤٠) يندم على ما كان منه لكن ندما ضعيفا ، فدموعه قاطرة ، لا كما عهدناها في الغزل غزيرة لا تنفد ، لكنه أحسن في استخدم البحر السريع ، وهو من الأبحر المتحاماة لأن آخر أجزائه ثقيل جدا

(مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن نْ)

وحركته بطيئة تُمثِّل جانبا من المعنى المقصود ، فهو مناسب للشعور بالندم وإنزال الدمع. أمّا الحبيب الذي ذكره في البيت الثاني ، فما زال تائها في الحياة الدنيا. وربما يعود ذلك الى أنه لم يمتدّ العمر به كثيرا فمات في الخمسين من عمره ، وما زال يحيا الحياة اللاهية ، فمات مقتولا ، ولكن اعترف له النقاد بأنه أديب كبير موهوب امتلك طاقة شعرية كبيرة في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر بلغة عذبة رقيقة لطيفة تجاوبت مع نفوس النقاد والقراء قديما وحديثا (ناظم رشيد، ١٩٨٩م، صفحة ١٤٧).

نستنتج مما تقدم أن الصورة الشعرية للغزل العفيف جاءت غزيرة الدمع والصورة الشعرية للدمع في شعر التوبة جاءت ضعيفة قاطرة .

الخاتمة

اتسعت الصورة الشعرية للدمع لاتساع جوانبها وانتهت الدراسة الى ان الشاعر وظف الدمع لتكون فكرة تسهم في بناء القصيدة ، وتعددت دلالتها بقدر تعدد ذكر مفردة الدمع ، ذلك أن الشاعر قد صبّ في هذه المفردة كل ثراء الحياة التي عاشها من لهو وحزن وغنى وفقر وصراع على الخلافة وندم وتوبة .

يبكي الشاعر فرحا طربا حين تكون العلاقة بينه وبين حبيبته علاقة صداقة ، وإن كان مكانها بعيدا، ويصف دموع عينيه بدموع الشوق لأنّ طلل حبيبته قد اختفى وانمحت رسومه ، فبقي في شوق لها. ويصف الدموع بالكذب حين لا يكون في قلب صاحبها صبوة أو حزن .

وامتازت الأبيات الشعرية التي ذكر فيها الشاعر حديث الدموع بالقدرة على الكلام والبوح بأسرار الشاعر، في الوقت الذي قلبه يحاول كتمان حبّه وسرّه، فأسقط الشاعر على الدمع الصفة الإنسانية ، فالصورة الشعرية للدمع صورة كلامية حين يشير الى صدق دموعه التي أسماها البكاء وكذب دموع الحبيب التي أسماها التباكي .

أمّا دموع الحزن ، فيذكرها الشاعر عندما ترحل الحبيبة ، وينقطع الاتصال . ووظف الشاعر (العبرة) لتدلّ على الحزن من الفراق ، فالفراق أسخن عينيه، والاتصال قرّ عينه وأبَرَدَها ، فإن للسرور دَمْعَةً باردةً وللحزن دمعة ساخنة

وإذا ارتبط ذكر الحبيبة الراحلة بذكر الطلل وكان الحزن في أوله ، يجعل الصورة الشعرية للدمع تمتاز بـ (البكاء) ، وإذا ازداد الحبّ ، وكتم الشاعر مشاعر الحُبّ في قلبه تكون الصورة الشعرية للدموع كلامية صوتية فيعكس عليها الشاعر صفات الانسان فتتحدث وتقول وتتكلم وتبوح بسرّ الشاعر، وتحتل الدموع علاقة التوسط بين الشاعر والحبيبة

وتفضح الدموع الشاعر حين يكون الحُبّ في أوّله ،ويحاول الشاعر أن يخفي الدموع لئلا تفضحه وتظهرما في قلبه من وجد ،

وارتبط ذكر الدمع الكثير بالقصائد الطويلة التي يتحدث فيها الشاعر عن العتاب أو تجربته في الحياة

و حين تكون المرأة هي التي تحاور الشاعر وتطلب لقاؤه ، يجعل الصورة الشعرية للدمع مبالغا فيها ، فتمتزج الدموع بالدم أو تصل الدموع الى حد النحر

و فراق المرأة للشاعر إمّا أن يكون من ذكريات الماضي ، فتكون الدموع قليلة ، وإما أن تكون تجربة آنية يعيشها الشاعر في وقته الحاضر فتكون الدموع غزيرة أو نفدت وانتهت.

وتأتي الصورة الشعرية للدمع على شكل سجال أو وعاء ممتلئ بالماء و صبّ بعد امتلائه في الشعر السياسي لترمز لذهاب الخلافة من يدي الشاعر.

،والصورة الشعرية للدمع في شعر التوبة جاءت ضعيفة قاطرة ، وهذا يدل على ضعف الحسّ الديني عنده إذ كانت أمّه وجدّته روميتان وأكثر من في القصر من الأنصار ومال الشاعر الى الحياة اللاهية المتمثلة بالغناء والجواري والصيد.

المراجع

إبراهيم أنيس وآخرون. (ط٤، ٢٠٠٤). *المعجم الوسيط*. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

إبرهيم خليل. (بلا تاريخ). *اللون في الشعر العربي قبل الإسلام*.

ابن فارس. معجم *مقاييس اللغةدار احياء التراث العربي*. بيروت: دار احياء التراث العربي، (٢٠٠٨م).

ابن المعتز، شرح الصولي، و تحقيق يونس السامرائي. (١٩٩٧م). *ديوان شعر ابن المعتز*. بيروت: عالم الكتب.

ابن المعتز، تحقيق عمر فاروق الطباع.. *ديوان ابن المعتز*. بيروت: دار الأرقم ،(د.ت).

ابن معصوم الحسني.. *كتاب أنوار الربيع في أنواع البديع*، (بلا تاريخ).

ابن منظور. *لسان العرب* . بيروت: دار صادر، (٢٠٠٨م).

أبو فرج الإصبهاني. القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٩٣٧م).

أبو منصور ابن الجبان.. *شرح الفصيح في اللغة* . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، (١٩٩١م).

أبو منصور عبد الملك الثعالبي، و تحقيق حمدو طماس.. *فقه اللغة وسر العربية*. بيروت: دار المعرفة،(ط٣ ، ٢٠١٠م).

أحمد مختار عمر. *علم الدلالة*. القاهرة: عالم الكتب، (ط٥ ، ١٩٨٩م).

احمد الهاشمي. *جواهر البلاغة*. بيروت: دار المعرفة ،(ط٣ ، ٢٠١٠).

أسامة لطفي الشوربجي.. *الحوار في شعر ابن المعتز دراسة في الأنماط والأساليب*. مصر: مجلة كلية الأداب والعلوم الانسانية ، جامعة قناة السويس، (د.ت).

إصبهاني ، أبو الفرج ، و تحقيق عبد الله علي المهنا. *الأغاني*. بيروت: دار الفكر، (١٩٩٥م).

امرؤ القيس. *ديوان امرئ القيس*. بيروت: دار صادر، (د.ت).

بشار بن برد.. *ديوان بشار بن برد*. بيروت: دار ومكتبة الهلال، (١٩٩٧).

تعريف و معنى وشل في معجم المعاني الجامع . *العربية*. (د.ت)

ثائر فضل عيسى. الاحجار الكريمة ودلالتها في الشعر الفارسي ديوان حافظ شيرازي أنموذجا. *مجلة آداب ذي قار*، (٢٠٢٠).

الجاحظ (ت٢٥٥هـ).. *الحيوان*. القاهرة: دار احياء العلوم ، (١٩٥٥هـ).

حقي إسماعيل.. *وظائف الأبنية الصرفية*. بغداد: مجلة آداب مستنصرية ، العدد ٧٩، (٢٠١٧).

حيدر رضا كريم.. *حجاجية إسلوب الالتفات في شعر ابن حداد الاندلسي*. بغداد: مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية, مجلد ٢، العدد ٢، (٢٠٢٤)

خطيب البغدادي، و تحقيق بشار عواد معروف. (٢٠٠١). *تاريخ بغداد*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

رنا حاتم كزار، و عبد الحميد حمد شحاذه.. أبنية الأفعال المزيدة ودلالتها في شعر ربيع عبد القادر. *مجلة كلية التربية الأساسية*، (العدد ١٢٠ مجلد ٢٩, ٢٠١٢).

زركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركش.. *البحر المحيط*، (بلا تاريخ).

سمير جعفر ياسين.. مثيرات إنشاء النص الأدبي (شعر اليهود وما قيل فيهم شعرا في الأندلس أنموذجا). *مجلة آداب المستنصرية*، (أيلول, ٢٠٢٠).

سوزي حمود.. *االدولة العباسية مراحل تاريخها وحضارتها* . بيروت : دار النهضة العربية، (٢٠١٥م).

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.. *سير أعلام النبلاء*،(بلا تاريخ).

شوقي ضيف.. *تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني*. مصر: دار المعارف ، (١٩٧٣).

عبد الغني أبو العزم. *معجم الغني*. د.م: المكتبة الشاملة، (٢٠٢٠م)..

عبد الله الطيب.. *المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها* . بيروت: دار الفكر ، (ط٢، ١٩٧٤م).

عبد المجيد بن محمدبن علي الغيلي.. *المعاني النحوية أساليبها وأفاظها عند العرب*. لبنان: دار الكتب العلمية، (٢٠٢١).

الفاتح صديق عبد الفراج أحمد. *الوقوف والبكاء عبى الاطلال في شعر المعلقات الجاهلية*. السودان: مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، (٢٠٢٣).

فاضل صالح السامرائي.. *معاني النحو*. بغداد: جامعة بغداد، (١٩٨٧م).

فاضل صالح السامرائي.. *معاني الأبنية*. الأردن: دار عمار. (ط٢، ٢٠٠٧م)

القيرواني (ت ٤٥٣هـ). *زهر الآداب وثمر الألباب*. بيروت: دار الجيل، (١٩٧٠م).

كمال أبو ديب. *جدلية الخفاء والتجلي*. بيروت: دار العلم للملايين.

لاريسا معصراني.. *الجزيرة نت*. تم الاسترداد من لماذا نبكي في لحظات السعادة؟ | أسلوب حياة: https://aja.me/ve8rqs (٢٠٢٣م)

محمد مهدي حسن، و قاسم حسن آل شامان السامرائي.. سيرة ابن المعتز العباسي دراسة تاريخية. *https://iasj.net/iasj/download/e6ad06f4161620cf*،

مصطفى جواد .. *دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم*. بغداد: دار أسعد ، (١٩٨٦م).

منال عبد الفتاح حسين شتية.. *قداسة المكان في الشعر الجاهلي* . فلسطين: جامعة النجاح الوطنية ، (٢٠١٧م).

ناظم رشيد. *الأدب العربي في العصر العباسي*. الموصل: جامعة الموصل. (١٩٨٩م).

نبراس كاظم ابراهيم كاظم.. *الصورة اللونية في شعر خالد الكاتب*. بغداد: مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية ، (مجلد٣٠ ، العدد١٢٣، ٢٠٢٤م).

يحيى عبد الرؤوف جبر.. البرق في التراث الأدبي العربي. *مجلة مأثورات شعبية/قطر*،(٢٠٠٩)

https://staff-old.najah.edu/%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D9%89-%D8%AC%D8%A8%D8%B1/general-article/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%82-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-

%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A-
.%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A

https://www.google.com/search?q=%D8%AA%D8%B9%D8%B1. (بلا تاريخ).